تعليم الإملاء العربيّ؛ كتاب "الإملاء الواضح"، دراسة تحليلية

مراجعة مقال Subject Rview

م.د. أحمد عبد الله عذيب

ahmed.abd@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم

الملخص

يعد الإملاء قانوناً يحاول به الكاتب عدم الوقوع في الخطأ في الكتابة، تماماً مثلما تعصم قواعد النحو اللسان من الخطأ في اللفظ والمعنى. ومع أهميته الكبرى، إلا أنه يمثل عقبة صعبة أمام كثير من الطلبة، مما يولد ضعفاً في الثقة بالنفس وكراهية للغة. وفي هذا المجال نستعرض أهم المشكلات التي تواجه تعليم الإملاء، وقد كُتب في هذا المجال مجموعة من الكتب كان كتاب (الإملاء الواضح) من أشهرها، وهذا المقال محاول استكشافية تسبر أهم نقاط قوة الكتاب، وتحلل أهم نقاط ضعفه مع مراعاة مواكبة العصر التقني المتسارع على وفق المنهج التحليلي.

الكلمات المفتاحية: التعليم، الإملاء، التحليل.

Teaching Arabic spelling: The book " Al-Imla' Al-Wadih ", an analytical study

Professor Dr. Ahmed Abdullah Udhaib

University of Baghdad / College of Education (Ibn Rushd) for Human Sciences / Department of Arabic Language

Abstract:

Spelling is a set of rules that writers use to avoid errors in writing, just as grammar rules protect the tongue from mistakes in pronunciation and meaning. Despite its great importance, it presents a significant obstacle for many students, leading to a lack of self-confidence and a dislike of the language.

In this field, we review the most important problems facing the teaching of spelling. A group of books have been written in this field, the most famous of which was the book (**Al-Imla' Al-Wadih**). This article is an exploratory attempt to explore the most important strengths of the book and to analyze its most important weaknesses, considering keeping pace with the rapidly evolving technological age according to the analytical method.

Keywords: education, spelling, analysis.

العقبات الرئيسة:

يمكننا تقسيم المشكلات التي يعاني منها الطلبة في الإملاء على ثلاث فئات رئيسة: المشكلات صوتية، والمشكلات المتعلقة بقواعد الرسم، والمشكلات التي تظهر بسبب الامتزاج بين العامية والفصحى.

وتعد الهمزة من أكثر القضايا المعقّدة في الإملاء العربي؛ وأصل تلك المشكلة في تعدد صور كتابة الهمزة (أ، ؤ، ئ، ء) واختلافها باختلاف موقعها (أول، وسط، آخر الكلمة). ولعل منشأ ذلك تاريخيا يعود إلى أن أهل الحجاز كانوا يميلون لتسهيل الهمزة وعدم نبرها، بينما اعتمد الإملاء لاحقاً على تحقيق الهمزة، مما خلق قواعد دقيقة لرسمها بناء على ما تنقلب إليه؛ وهذا الأمر اقتضى أن تسير الكتابة على خلاف ما في اللغة الكلاسيكية شبه الرسمية للعربية.

وما يزيد الطين بلّة أن يجد الطالب صعوبة في تطبيق قاعدة "أقوى الحركات" (الكسرة، ثم الضمة، ثم الفتحة، ثم السكون) عند كتابة الهمزة المتوسطة، ناهيك عن القواعد الشاذة مثل (هيئة، براءة) التي احتدم الخلاف فيها.

ولعل الخلط الشائع بين حرفي الضاد والظاء كتابةً ونطقاً من المشكلات الأكثر تعقيداً، فاختلاف المخرج الصوتي لهما يزيد الأمر تعقيدا في النطق؛ فالضاد تخرج من حافة اللسان مع الأضراس، بينما الظاء من طرف اللسان مع الثنايا العليا، ولو نظرنا لما ألقت به اللهجات العاميات من عقبات جديدة في هذا الموضوع؛ إذ اختفى التمايز الصوتي بينهما، فأصبحا ينطقان بصوت واحد (غالباً ظاء مفخمة أو دال مفخمة). نحن أمام معضلة يصعب حلّها؛ إذ لا توجد قاعدة قياسية للتمييز بينهما، والحل التقليدي يعتمد على الحفظ لمفردات كل صوت منهما على حدة للتفريق بينهما.

ومن المشكلات المثيرة للاهتمام؛ الحروف التي تنطق ولا تكتب، والعكس؛ فهي مشكلة نطقية وكتابية في وقت واحد؛ إذ تعتمد الكتابة العربية في الغالب على اللفظ، لكنها

تخالف ذلك في مواضع محددة تسبب إرباكاً للمبتدئ؛ مثل حذف الألف في (ذلك، هذا، الرحمن)، وحذف همزة الوصل في (بسم الله) ... الخ، وعلى العكس من ذلك تظهر زيادة الواو في (عمرو) للتفريق بينها وبين (عمر)، وزيادة الألف بعد واو الجماعة (كتبوا).

٤. التاء المربوطة والتاء المفتوحة

إن الاعتماد الكلي على السمع من دون تطبيق قاعدة الوقف والوصل جعل الخلط بين التاء المربوطة (ة) والهاء (هـ) والتاء المفتوحة (ت) من الأخطاء الشائعة، ولا سيما أن عقدة (التاء التركية) ما زالت حاضرة في نطقنا بسبب رواج نطق التاء لفظاً وكتابة في الأسماء، الأمر الذي يربك الطالب، ولا سيما أن هذه التاء تشبه التاء التي تدخل على الأفعال من جهة، وتشبه تاء التأنيث من جهة أخرى.

استراتيجيات العلاج وطرق التدريس الفعالة

يمكننا صياغة خطة علاجية تعتمد التدرج والربط الذهني في محاولة لفهم طبيعة المشكلات نفسها، ثم اقتراح الحلول الكفيلة بتذويب تلك المشكلات، والقضاء عليها، ومنها:

- تبسيط القواعد (قانون أقوى الحركات)؛ فبدلاً من تحفيظ الطالب حالات الهمزة في قوالب جامدة، يمكن تدريبه على "الميزان الصوتي" بترسيخ ترتيب قوة الحركات: (الكسرة > الضمة > الفتحة > السكون). ثم التمرينات التطبيقية؛ فعند كتابة همزة متوسطة، ينظر الطالب لحركتها وحركة ما قبلها، ثم يختار الحرف الذي يناسب الحركة الأقوى (الياء للكسرة، الواو للضمة، الألف للفتحة). هذه الطريقة تحول الإملاء من حفظ إلى عملية رياضية منطقية.
- الحصر اللغوي لمشكلة الضاد والظاء؛ نظراً لاستحالة وضع قاعدة قياسية، فإن أنجع وسيلة هي "الحصر". فالكلمات التي تكتب بالظاء (ظ) أقل عدداً بكثير من الضاد. والطريقة المثلى في حفظ أشهر الكلمات التي تكتب بالظاء، مثل: الحفظ، الظلام، الظرف، العظم، الظهر، النظر...الخ. وما عدا هذه الكلمات المحفوظة يكتب ضاداً. وهو ما تدريب يقرب لفكرة السبر والتقسيم المنطقية.

ويمكن استخدام القوائم المجدولة التي تفرق بين المعاني؛ مثل: الحظ "النصيب" والحض "الحث"؛ لربط الرسم بالمعنى. وهذه الطريقة تعتمد الصراع بين الضدين في إيصال المعنى، وبعبارة أكثر وضوحا فإن وجود التقابل بين اللفظين سيجعل الطالب مستعينا بأكثر من حاسة في التفريق، منها البصر، والسمع.

أما في مشكلة التاء فإن الاختبار الوظيفي للتاء في الوقف والوصل يدرب الطالب على نطق الكلمة مرتين؛ مرة بسكون (وقف): إذا نطقت "هاء" فهي تاء مربوطة (مدرسة –> مدرسه). وإذا نطقت "تاء" في الوقف والوصل فهي تاء مفتوحة (بنت –> بنت).

إن التدريب البصري، والسمعي؛ أي إن الإملاء ليس كتابة فقط هو الخطوة الثابتة الأولى في سبيل إزالة هذه المشكلات. والتلقين السليم للطلبة من الركائز القوية في تحقيق ذلك، إذ يجب أن يبالغ المدرس في إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة أثناء الإملاء، ولا سيما الحروف الشمسية والهمزات المتطرفة حتى تستقر بصورة صحيحة في أذهان الطلبة.

ولربط المهارة بالقيم أهميته في تحقيق ذلك التخلص من المشكلات؛ فعلاج السأم والضجر عند الطلاب يكمن في اختيار النصوص ذات المعاني والقيم بدلاً من الجمل المفككة؛ فالنصوص التي تحكي حكماً ومواعظ، مثل وصايا العرب وخطبهم تثري القاموس اللغوي للطالب وترسخ صورة الكلمة في ذهنه.

إن مشكلات الإملاء العربي ليست من عيوب في اللغة، إنما هي حصيلة لثراء نظاميها الصوتي والكتابي وتطورهما التاريخي. وعلاج هذه العقبات لا يكون بمزيد من التعقيد، بل بالركون إلى أصول القواعد كما وردت في المصادر التراثية الأصيلة وإبرازها بقوالب مبسطة معتمدة الفهم والقياس، وليس التلقين والحفظ. إن إتقان الإملاء الخطوة الأولى لتقويم القلم واللسان، وحفظ هويتنا اللغوية.

مقاربة تحليلية في كتاب (الإملاء الواضح):

يعد كتاب "الإملاء الواضح" من الوثائق التربوية التاريخية التي تعكس المنهجية التي سادت في تدريس العربية في العراق والمنطقة العربية خلال منتصف القرن العشرين. ورغم مرور عقود على نشره إلا أن استحضاره اليوم ليس من باب الترف التاريخي، بل لفحص "الجينات الوراثية" لقواعد الإملاء التي ما زلنا ندرسها، ولمعرفة كيف يمكن تطوير هذه المادة المعقدة –نسبياً– لتلائم جيلنا الرقمي.

بني (الإملاء الواضح) على وفق معمارية تقليدية (Linear Structure) تعتمد التدرج من العام إلى الخاص، ومن الحرف إلى الكلمة ثم الجملة، ويمكن تقسيم هيكليته على أربع أقسام رئيسة؛ الكتلة التمهيدية في التأطير التاريخي والفني حين ابتدأ المؤلفان بذكاء ربط الإملاء بالخط، مستعرضين تاريخ الكتابة العربية وتطورها من الخط الفينيقي والآرامي – أي السامي– ، وصولاً إلى الخط الكوفي والنسخي من بعده. وهذا الربط يؤسس بناء العلاقة البصرية في ذهن الطالب.

أما القسم الثاني فهو الكتلة الوظيفية التي تبرز في علامات الترقيم، وقد خصصا حيزاً مبكراً لعلامات الترقيم، معتبرين إياها جزءاً من الإملاء لا يمكن أن ينفك عنه، وهو توجه صحيح؛ لأن المعاني لا تستقيم بالرسم الصحيح للحروف فقط، بل بتنظيم الوقف والابتداء.

أما القسم الثالث فهو الكتلة الصلبة؛ أي القواعد الإملائية، وهي "المتن" الذي اشتمل على الهمزات –وصل وقطع، متطرفة، متوسطة–، ثم الألف اللينة، ثم التاءات، ثم الحذف والزيادة، ثم الفصل والوصل.

وكانت الكتلة المعجمية في الضاد والظاء والفوائد هي القسم الرابع؛ إذ خصص المؤلفان مساحة ضخمة لمشكلة الضاد والظاء، مقدمين قوائم معجمية للحفظ –قاموس بالألفاظ–، واختتماه بفوائد لغوية لتصحيح الأخطاء الشائعة وتصويبها.

وعلى رغم قدم الكتاب، فإنه يحمل عناصر قوة (تربوية) تفتقر إليها بعض المناهج الحديثة؛ كالربط القيمي بالمهارة (Value–Based Learning) فلم يكتف الكاتبان بسرد القواعد، فقد كانت "قطع الإملاء" المختارة منهما نصوصاً أدبية رفيعة، وحكماً، ومواعظ وهذا يعزز "الذائقة الأدبية" لدى الطالب وينميها حين تعلمه رسم الحرف، فلا يتعلم الإملاء في فراغ.

ويحسب للكتاب أنه يعد "مرجعاً مصغراً" للكلمات التي تكتب بالظاء. في عصر ما قبل محركات البحث الالكتروني الحديثة مثل Google، فكان هذا المسرد، مثل: الحظ، الحفظ، الظعينة، الكظم وسيلة ناجحة حاسمة للمعلمين والطلاب للتمييز والتفريق بين الحرفين عن طريق الحصر والتتبع.

ومما يحسب للكاتبين في هذا الكتاب الوضوح في صياغة القاعدة (RuleSimplification)؛ فاسم الكتاب "الإملاء الواضح" لم يكن مجازاً، بل حقيقة، وصياغة القواعد، مثل قاعدة أقوى الحركتين في الهمزة المتوسطة كانت مجدولة مباشرة بما يسهل الحفظ والاستدعاء. ولم يغفل الكتاب تلك القواعد الدقيقة، مثل "حذف ألف ابن" وشروطها المعقدة، أو "ما الموصولة" و"ما الاستفهامية" واتصالها بحروف الجر، وهو ما يجعله مرجعاً لأصحاب الاختصاص كما المبتدئين في وقت واحد.

إلا إن الكتاب في ميزان معايير التدريس الحديثة ليس بهذه الإيجابيات الفعالة فقط؛ إذ تظهر فجوات بحثية كثيرة فيه؛ منها الاعتماد الكبير على التلقين (RoteMemorization)، فقد استند ا الكتاب في باب "الضاد والظاء" والتاءات على قوائم طويلة جداً للحفظ المـ جرد، في حين يؤكد علم النفس التربوي الحديث أن الإملاء

يكتسب من خلال "الذاكرة البصرية" (Visual Memory) والممارسة الوظيفية، وليس بحفظ القوائم الطويلة لكلمات تعزل من سياقها.

وفي الكتاب جمود في العرض البصري (Lack of Visual Hierarchy)؛ فتصميم الصفحات يبدو مز دحما، مع كتل نصية طويلة. مع افتقار يفتقر الكتاب إلى الخرائط الذهنية (Mind Maps) أو التشجيرات العقلية، التي تشرح تفريعات القواعد؛ مثل شجرة الهمزة، بما يعسر المهمة على الطالب ذي النمط البصري.

وفي الكتاب غياب للتعليل الصوتي (Phonological Absence)؛ ففي شرح صوتي الضاد والظاء نقل المؤلفان وصفاً قديما للصوتين؛ مثل (الاستطالة، وحافة اللسان) يصعب على الطالب تطبيقها عملياً من دون تمرين صوتي (Phonetics). فالإملاء الحديث يستلزم ربطاً بين "الفونيم" (الصوت) و"الجرافيم" (الرسم) بشكل أكثر تطبيقاً.

إن اللغة المعيارية الصارمة، وإهمال المؤلفين معالجة الفجوة العميقة بين "اللهجات العامية" والإملاء الفصيح، وهي السبب الأول للأخطاء الإملائية اليوم، مثل كتابة "لكن" بـ "لاكن" تأثراً باللفظ، أو الخلط بين التاء المربوطة والهاء، وهذه الثغرة تبقي الباب مفتوحا للأخطاء الكتابية من دون علاج.

إن إعادة إنتاج محتوى "الإملاء الواضح" لجيل الآيباد والذكاء الاصطناعي، يقتضي منا "هندسة عكسية" للكتاب على وفق المقترحات الآتية:

- التحول من القوائم الصماء إلى الخوارزميات التفاعلية:

يجب تحويل قاعدة "أقوى الحركتين" إلى خوارزمية تفاعلية (Interactive Algorithm) أو تطبيق ذكي. يدخل الطالب حركة الهمزة وحركة ما قبلها، فيقوم التطبيق ببناء الحرف أمامه (كسرة + سكون = نبرة). بهذا تتحول القاعدة من نص محفوظ إلى منطق برمجي مفهوم.

- تصدير المعلومات على شكل ألعاب (Gamification):

ويقترح ذلك في معالجة "الضاد وا لظاء" بقوائم الكلمات التي بالظاء لتكون مادة خام ممتازة لتطبيقات الألعاب اللغوية. فيمكن تصميم ألعاب "ملء الفراغات" أو "صيد الكلمات" التي تعتمد على الذاكرة البصرية، إذ تربط الكلمة بصورة (مثلاً صورة "ظرف" رسالة، وصورة شخص "ظريف") لترسيخ الفروق دلالياً وبصرياً.

- التدوين الرقمي والذكاء الاصطناعي

إن التحدي الراهن في "الإملاء الطباعي"، وليس في "الإملاء اليدوي" إذ يجب تعليم الطلبة كيفية تعاملهم مع المصححات الآلية (Auto-correct). والطالب الحديث يحتاج أن يعرف سبب وضع التصحيح الآلي خطاً أحمر تحت الكلمة. والمنهج

الحديث يجب أن يتضمن فقرة "تحليل أخطاء الذكاء الاصطناعي" لتعزيز الثقة بالنفس اللغوية لدى الطلاب.

- الإملاء الوظيفي (Functional Orthography)

تكمن قيمة الإملاء الوظيفي في استبدال "القطع الإملائية القديمة" بمهمات كتابية وظيفية معاصرة؛ مثل كتابة البريد الإلكتروني الرسمي Email، أو تغريدة خالية من الأخطاء، أو تعليق على فيديو. إن القواعد الموجودة في الكتاب مثل علامات الترقيم تصبح أكثر حيوية لتنظيم المعنى في النصوص الرقمية القصيرة.

الخاتمة والتوصيات:

يمثّل كتاب "الإملاء الواضح" بنية قوية لقواعد الكتابة العربية. ونقاط قوته تكمن في مادته العلمية الرصينة وشموليته. أما نقاط ضعفه فهي نتاج طبيعي مقبول لزمنه الذي اعتمد الحفظ وسيلة وحيدة لمعالجة المشكلات.

ولا يكمن الحل في استبدال هذه القواعد، بل في "تغيير واجهة المستخدم" (Interface)؛ أي نقل المحتوى من الورق المصمت إلى الوسائط التفاعلية الرقمية، وتحويل قواعد الإملاء من "محفوظات" صماء إلى "مهارات تفكير منطقي" تحاكي طريقة عمل الحاسوب، والأجهزة الإلكترونية في معالجة اللغات.

المصادر:

- النعيمي، عبد المجيد، والكيال دحام، كتاب (الإملاء الواضح)، الطبعة الثالثة- مكتبة دار المتنبي، مطبعة أسعد، ١٩٦٧م.
- الشعلان، راشد بن محمد، أساليب عملية لعلاج الأخطاء الإملائية، الرياض، ط/٢، 1429 هـ.